المحاضرة الأولى: مفهوم السياق وأهميته

تعد نظرية السياق إحدى النظريات التي تناولت المعنى من جميع جوانبه المركزية والثانوية، فالسياق بأنواعه المعروفة من العناصر الأساسية التي توجه مسار المعنى، لأن الكلمات تختلف دلالتها في أكثر من موضع، والذي يحدد موضعها ودلالتها هو السياق.

مفهوم السياق:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب مادة (س.و.ق): «ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق (شدد للمبالغة)، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۝٢١﴾ [ق/21] وقيل التفسير سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بحملها، وقد انساقت الإبل وتساوقت إذا تتابعت»[1].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري «ساق النعم، فانساقت وقدم عليك بنو فلان فأفدتهم خيلا وأسقتهم إبلا، ومن المجاز ساق الله إليك خيرا وساق إليك المهر، وساقت الريح السحاب وساق الحديث أحسن سياق، وجئتك بالحديث على سوقه أي على سرده»[2].

من خلال هذه المعاني اللغوية لكلمة السياق تتيح وقعها تحمل معنى التتابع والسير والانتظام في قطيع واحد، أما إذا تعلق الأمر بسياق الكلمات فمعنى ذلك أننا نعني تتابعها وسردها في جملة أو عبارة.

ب- اصطلاحا:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية لمصطلح السياق حسب الاتجاهات والمرجعيات الفكرية من جهة، وحسب أنواع السياق من جهة أخرى.

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت (مادة س و ق)

2- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 2007 مادة (سوق)

وأبرز هذه التعريفات تعريف عبد الفتاح البكراوي الذي يعرف السياق بأنه: «ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص، كما يعني قيود التوارد المعجمي، ويعني كذلك النص اللغوي الذي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملا، سواء أكان ذلك النص مكتوبا أو ملفوظا ويعني أيضا الأصول والموافق الخارجية ذات العلاقة بالكلام»[1].

ويعرفه فريد عوض حيدر بأنه: «علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي»[2].

من خلال هذين المفهومين يتبين لنا أن السياق هو المحيط اللغوي الذي يسبق وحدة لغوية معينة داخل اللغة وخارجها، كما أن السياق بنوعيه (اللغوي وغير اللغوي) يحدد مسار النص أو الخطاب وفقا لنسقه وطبيعته.

أنواع السياق:

يحدد علماء نظرية السياق أربعة أنواع منه وهي: السياق اللغوي والسياق العاطفي، والسياق الاجتماعي وسياق الموقف.

1- السياق اللغوي: يعرف أولمان السياق اللغوي بأنه: «النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم»[3]، ثم يضيف قائلا: «أن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشتمل -لا الكلمات والجمل الحقيقية التابعة واللاحقة فحسب- بل واللفظة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل -بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات»[4].

ويعرف السياق اللغوي أيضا بأنه: «الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة أو هو الأسلوب الذي ترد فيه اللفظة فتكتسب توجيها دلاليا من ذلك الأسلوب، وقد ترد في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى»[5].

1- عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار، القاهرة، ط01، 1991، ص 45.

2- فريد عوض حيدر: علم الدلالة، مكتبة الآداب واللغات، ط01، 2005، ص 157.

3- ستيفين أولمان: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشهاب، (د.ط)، (د.ت)، ص 57.

4- المرجع نفسه، ص 57.

5- حسن حامد الصالح: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دار ابن حزم، بيروت، ط01، 2005، ص 103.

من خلال هذه المفاهيم يتبين لنا أن الوحدة اللغوية ترتبط فيها بيها فتشكل كل واحدة منها معنى محددا يفهم من خلال أداء المقال، وبالتالي معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فلهذه الوحدة اللغوية أو الكلمة معنى معجمي يتغير بتغير السياق وفقا للتركيب الذي تتجاور فيه الكلمة مع مثيلاتها.

فيغير معناها «فالسياق لا يقبلها مادة خام، لذلك لابد أن تصاغ في صيغة من الصيغ حسب متطلبات الكلام، وهذه الصيغة تضفي عليها معناها فيطرأ تعديل على المعنى الأصلي ثم يأتي دور النحو الذي يحدد موقعها من الكلام، فيضفي على معناها الجديد معنى آخر هو المعنى النحوي للجمل، أضف إلى ذلك المعنى الذي يقصده المتكلم من كلامه، هل استعمل اللفظ استعمالا حقيقيا أم مجازيا، هل يقصد المعنى أم معنى المعنى»[1].

كما يتعلق السياق اللغوي بورود الكلمة في المعجم، أي معنى الكلمة في العبارة أو في الجملة، ويتأسس ذلك على موقع الكلمات وما يسبقها ويلحقها، ويتجلى ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

مثال ذلك كلمة ضرب التي تحمل معان متعددة تبعا لموقعها في الجملة: فهي تعني:

1-ضرب مدفعا بمعنى أطلقه.

2-ضرب النار بمعنى أشعل.

3-ضرب البوق بمعنى زمر.

4-ضرب على يديه بمعنى منعه.

5-ضرب كفا بمعنى لطمه[2].

1- محمد الهادي عياد: الكلمة في الدراسات اللسانية المقارنة، مركز النشر العلمي، منوبة، ط01، 2010، ص 128.

2- ينظر: عبد النعيم خليل: السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء والنشر، الاسكندرية ط01، 2007، ص 33.

وقد عرف الدكتور أحمد مختار عمر السياق اللغوي بقوله: «أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة (good) الإنجليزية ومثلها كلمة حسن العربية أوزين العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـــ:

1-أشخاص: رجل، امرأة، ولد.

2- مؤقتة: وقت، يوم، حفلة، رحلة.

3-مقادير: ملح، دقيق، هواء، ماء.

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت يعني التفوق في الأداء وليس في الناحية الأخلاقية، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والتعاون وهكذا.

والملاحظ في هذه التعاريف أن الكلمة هي الموضع الذي يتحدد من خلاله السياق، لأن الكلمة هي اللفظة الموضوعة لمعنى، والسياق هو الذي سبق ذلك المعنى، كما أن الكلمة تعرف بالجمع بين معنى ما ومجموعة ما من الأصوات القابلة لاستعمال نحوي ما»[1].

معنى ذلك أن الكلمة تحدد بالنظر إلى موقعها في الترتيب، واستعمالها في تسلسل صوتي معين، والسياق هو الذي يحدد ذلك.

فالسياق النحوي يتكون من مستويين هما:

1- الكلمات المجردة باعتبارها مجموعة من الفونيمات المترابطة التي تعطي معنى معينا، بالإضافة إلى القواعد المنظمة لترتيب هذه الكلمات على مستوى التركيب من حيث التقديم والتأخير والزيادة والحذف.

2- الكلمات مرتبطة بأنواع من السياقات الصوتية، كالنغمة والتنغيم والنبر بحسب المعنى الدلالي الذي يتفق مع هذه الدلالات[2].

1- ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 34-35.

2- المرجع نفسه، ص 37-38.

وتتدرج تحت هذا النوع من السياق عدة أنواع منها:

أ- **السياق الصوتي:** وهو سياق يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه اللغوي من حيث كمية الهواء اللازمة لإنتاج هذا الصوت والجهر ودرجاته والهمس وسوى ذلك، كما يهتم بدراسة الفونيم الذي يعتبر المادة الأساس في قيم الدلالة بعده وسيلة مهمة لتوزيع الأصوات وفق محتواها الوظيفي، فقيمة الفونيم تكمن في مهمته الوظيفية وتأثيره داخل منظومة السياق(1).

وإذا ما تناولنا الفونيم وعلاقته بالسياق فإننا تفرد تعريفا لدانيال جونز الذي يرى بأن الفونيم :«أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص من الناحية الفونيتيكية، وكل صوت منها يوزع توزيعا تكامليا بمعنى أن لكل صوت منها يوزع توزيعا تكامليا بمعنى أن لكل صوت سياقا خاص لا يمكن أن يستعمل صوت آخر محله»(2).

ولتوضيح ذلك نقول أن نطق النون في اللغة العربية مثلا يتطلب أن تقوم أعضاء النطق في شكل عملية ميكانيكية بما يلي:

1-يلتقي مقدم اللسان بأصول الثنايا العليا.

2-يتراجع الطبق اللين قليلا إلى أسفل.

3-يمر الهواء من الأنف، ويمنع مروره من الفم نتيجة لالتقاء مقدم اللسان بأصول الثنايا العليا.

4-تذبذب الوتران الصوتيان، وعلى ذلك فهو صوت أسناني لثوي أنفي مجهور(3).

غير أنه لا تتحقق كل هذه الصفات لهذا الصوت في جميع الحالات، بل كثيرا ما نجد اختلافا بين نطق النون في موضع، ونطقها في موضع آخر، مثال ذلك كلمة "النار" التي

1- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوي دمشق، ط1، 2011، ص31-32.

2- ربيعة برباق: علم الأصوات دليل الطالب الجامعي، دار قانة باتنة، ط1، 2016، ص145.

3- ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 38.

وردت كثيرا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر/06]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر/46]، فنطق النون في كلمة النار في هاتين الآيتين تختلف كثيرا عن نطقها في الكلمة نفسها من قوله سبحانه ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۝٤٧﴾ [غافر/47]، وعلى ذلك فالنون اصطلاح شامل يدخل خمسة عدد من الأصوات كالذي في بداية نحن، والذي قيل الثاء في (إن ثاب) وقيل القاف في (إن قال) مع اختلاف واضح بين هذه الأصوات في المخرج»[1].

ب- السياق النحوي:

لا يقتصر السياق النحوي على معرفة أحوال أواخر الكلمات من إعراب وبناء وحركات وغيرها، إنما يشير إلى دراسة الجمل من ناحية العلاقات السياقية، ولذلك فهو «شبكة من العلاقات السياقية التي تقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية، وقد يعتمد وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق»[2].

وهذه العلاقات السياقية هي التي تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، تقوم على عنصرين هامين هما السياق الرأسي والسياق الأفقي وهذان المصطلحان ذكرهما الدكتور عيد بلبع في بيانه لأهمية السياق في بناء النص، فيقول في هذا الشأن: «يمكننا أن نقرر أنه ثمة سياقان لغويان تهتدي في تصنيفهما بمقولات السيميوطيقا وبخاصة السياق الرأسي، فهذان السياقان هما السياق الرأسي والسياق الأفقي، ومن الواضع أن السياق الأفقي هو ما يقصد به السياق اللغوي، اي أن النظرة إلى السياق اللغوي تكاد تكون قد انحصرت في المستوى الأفقي وهو العلاقات الداخلية بين العناصر اللغوية المكونة للجملة أو النص، أما

1- ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 38-39.

2- المرجع نفسه، ص 67.

السياق الرأسي فهو ما يتمثل في البحث في تاريخ الكلمة وما يسمونه نبش في ذاكرة العلامة وهو يفتح على ما لا حصر له في استعمالات سابقة للعلامة بأبعادها الحقيقية والمجازية»[1].

ج- السياق المعجمي:

وهو مجموعة العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللغوية ببيان دلالي معين يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللغة المعنية، وهذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لانتاج المعنى السياقي العام للتركيب[2].

ويطلق على هذا النوع من السياق اللغوي بالسياق الدلالي «لأنه يركز على العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجمية دلالية لا بوصفها وحدات نحوية أو أقساما كلامية عامة»[3].

ب- السياق الصرفي:

وهو السياق الذي يهتم بدراسة المفردات، لا بوصفها صيغا أو ألفاظا فقط، وإنما بحسب مافيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة، فالسياق الصرفي لا يدرس الصيغ والعلامات متفردة بل مرتبطة بالكلمات من خلال سياق معين يؤدي إلى دلالة معينة[4].

وتساهم البنية الصرفية في الفروق الدلالية بين اسم الفاعل، واسم المفعول والمصدر مثال ذلك علم، عالم، تعليم، علامة، والاختلاف بين هذه الصيغ يحدده السياق.

2- السياق العاطفي: لهذا النوع من السياق مرادفات أخرى هي السياق النفسي، أو الانفعالي أو الوجداني، ويرتبط هذا السياق بالحالة العاطفية أو النفسية، فدلالة كل كلمة

1- عيد بلبع: السياق وتوجيه دلالة النص، دار بلنسية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص152-153

2- فاطمة: المعنى خارج النص، ص32.

3- جاسم محمد عبد العبود: مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص143.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص142.

عند شخص تكون غيرها عند شخص آخر، ومختلفة عند شخص، وعلى الرغم من إشراك بعض الكلمات في الدلالة المركزية واختلافها في الدلالة الهامشية مثل الكره والبغض[1].

3- السياق الثقافي: وهو عبارة عن المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة مثل (looking glass) التي تعتبر في بريطانيا علامة على الطبقة الاجتماعية العليا بالنسبة لكلمة (mirror) وكذلك كلمة (rich) بالنسبة لكلمة (wealthy)، وكلمة عقيلته تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة لكلمة زوجته[2].

فاختلاف البنيات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالات الكلمة والشيء نفسه بالنسبة للمشترك اللفظي (جذر)، حيث يتعدد معناه تبعا لتنوع العلوم واختلافها، فهذه الكلمة يختلف معناها عند الرياضي والمزارع واللغوي.

4- سياق الموقف:

يمثل سياق الموقف الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي[3].

ويعرف سياق الموقف بأنه البيئة غير اللغوية التي تستخدم فيها اللغة[4].

وأول من استخدم سياق الموقف هو مالينوفسكي ليشير إلى الأحداث والمواقف التي ينتج فيها النص، ويؤكد أن الفهم الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية والمعرفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه تلك الكلمات[5].

1- ينظر: المرجع السابق، ص148.

2- ينظر: عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص92.

3- أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص158.

4- حسام أحمد فرج: نظرية علم النص، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2007، ص24.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

عناصر سياق الموقف:

يتكون سياق الموقف من عناصر متعلقة بالموقف الاتصالي الذي يحصل فيه الحدث الكلامي المرسل/ المرسل إليه، أو المتكلم / الكاتب والمستمع العادي والعلاقة بينهما والزمان والمكان ومجال الحديث.

1- المتكلم أو المرسل:

يعد المرسل عنصر الانطلاق، والأساس في عملية الاتصال في دورتها التخاطبية، فهو يمثل مصدر الرسالة والمنتج لها «ويأخذ عدة صور وفقا للمواقف التي هو فيها، فقد يكون شخصية أو هيئة أو جمعية أو مؤسسة »[1].

ويعتبر المرسل والمتكلم عنصرا فاعلا في المواقف الكلامي، ومعرفته في إنشاء الكلام العقلي يعين على فهم الحدث اللغوي، فلكل متكلم معجمه الخاص ومميزاته الصوتية الخاصة التي قد تميزه عن غيره من المتكلمين، فقد يتميز بنبرة صوتية خاصة أو نطق صوتي خاص لمفردة معينة في موقف معين، فدلالة الكلمة مرهونة بمكانة المتكلم وطريقة عرضه وانتمائه الاجتماعي.

2- المرسل إليه أو المستمع:

وتشكل الطرف الآخر من العملية الاتصالية، وهو الذي يجعل الدائرة تكتمل، وقد يكون جهة أو شخصا أو مجموعة توجه لها الرسالة قصد المشاركة في الخبرة أو تعديل سلوكاتها، «ولا تقاس عملية الاتصال بالمرسل بقدر ما تقاس بالمتصل سلوكيا لأن السلوك يعطي هذا المظهر والدليل على تحقيق الهدف»[2].

وأهم ما يجب مراعاته في شأن المخاطب:

1- عبد العزيز خواجة: أنماط العلاقات الاجتماعية في النص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2007، ص104.

2- المرجع نفسه، ص 112.

- **درجة الانتباه:** فالمخاطب بحكم ظروف الاستماع من جهة والضوضاء المحيطة، والشرود الذهني، عدم التركيز، يخضع النص لمبدأ استمرار الحديث والكشف عن استيعابه لدى المتلقي.

وقد يخضع فهم المخاطب من حيث التلقي الحسي أو البيئي إشارات لغوية تظهر في النص المنطوق –بشكل خاص– تأثيرا من حيث الإعادة والتكرار والتوافق أو الشرح (لفكر ما) في حالة عدم فهم المخاطب أو سوء فهمه.

وقد تحدث إيماءات وإشارات غير لغوية تحدث ذات الأثر في النص المنطوق من المتكلم وتبدي مواقف المخاطب من حيث الموافقة أو الاعتراض على المسموع تأثيرا في النص الحي، فكثيرا ما نرى المتكلم يسترسل في إلغائه نصا ما وتجد بين السامعين من يعترض صوتا موافقة أو مقاطعة[1].

- **جنس المخاطب:** حيث وجب معرفة جنسه لأنه يؤثر في فهم الخطاب، فمخاطبة الذكور تختلف عن مخاطبة الإناث، وبخاصة في المجتمعات التي تضع للأنثى مراسم خاصة في مخاطبتها، إضافة إلى أن محادثة المرأة تخضع لأدبيات خاصة لا تخضع لها محادثة الرجال من حيث انتماؤها النوعي[2].

- **المستوى الثقافي والاجتماعي للمخاطب:** يتجه بناء النص لمراعاة المخاطب ثقافيا واجتماعيا، وتخضع النصوص لاعتبارات ثقافة المخاطب ومستواه الاجتماعي فتحكم على النص بأنه ذو صفة فكرية أو ثقافية عليا أو دنيا بحسب ما يمكن تسميته بالنحوية الاجتماعية وهي الموائمة بين النص والمستوى الاجتماعي للمخاطبين[3].

1- ينظر: ردة الله الطلحي: دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، ط1، 1424، ص 605 –606.

2- المرجع نفسه، ص 608.

3- المرجع نفسه، ص 608.

3- مجال الحديث:

إن الوقوف على الموضوع الذي يدور فيه الحديث يعيب كثيرا على فهمه النحوي «فمجال الحديث يتصل بالآثار المترتبة على الدور الذي يؤديه المتكلم مثل على ما كانت تدور اللغة التي استخدمت؟ ما التجربة التي يريد أن يعبر عنها؟ ما الذي يحدث من خلال اللغة؟ حيث يتضمن كل هذا الموضوع وكل ما يتصل به من أحداث»[1].

معنى ذلك أن مجال الحديث يعد بمثابة المرجع الذي يحيل على فهم الأحداث، يتنوع بحسب تعدد القنوات كالوسائل المكتوبة، والوسائل السمعية والوسائل الإلكترونية.

4-المكان والزمان: ويتعلقان بمقومات التواصل من جهة، وسياق الموقف من جهة ثانية، ويعد عنصر المكان فعالا مؤثرا في فهم معاني الكلمات باختلاف البيئات، ويتجلى دوره في معرفة مرجعية الألفاظ في ثقافة معينة مثال ذلك كلمة مرحبا في مصر ولبنان، تختلف من حيث مواقف الاستخدام بين المجتمعين، ومن ثم تختلف دلالتها الاجتماعية، فهي في لبنان تكون تحية عامة تقال في أي مكان، وهي في مصر تكاد تقتصر في استعمالها على تحية الضيف بقولها المضيف .

ويبدو المكان في النص بواحد من طريقتين من طريقة التفكير اللغوي «إحداهما بواسطة الظروف الدالة على المكان سواء أكانت جامدة أم مشتقة والآخر بواسطة أسماء المواقع الجغرافية كمكة والمدينة، ويمكن أن تسمى هذه الدلالة المكانية بالمكان المعجمي، أما الزمان فيبدو هو الآخر بواحد من طريقتين من طرق التعبير اللغوي: أحدهما بواسطة صيغ الأفعال المختلفة، وذلك هو الزمن الصرفي، وما يضام الأفعال من ضمائم الأدوات (كان وأخواتها، وحروف التنفيس وأدوات النصب والجزم، وكلا من الزمنين الصرفي النحوي يمكن أن يسمى الزمن التركيبي، ويضاف إلى هذين النوعين من الزمن التركيبي التعبير بأسماء الزمان المشتقة»[2].

1- عبد النعيم خليل: نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 87.

2- ينظر: ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص 620.

والآخر بواسطة الإعلام للأيام والشهور ويلحق بها التاريخ العددي الرقمي لأوقات الأحداث، ثم بالأحداث الكبرى المرتبطة بأزمان حدوثها(1).

وتتناول كتب اللغة في حديثها عن سياق الموقف محورين مهمين هما مجال الخطاب وأدوار الخطاب.

أما مجال الخطاب فهو يشير إلى نوع النشاط الذي يحدث والذي تساهم فيه اللغة من خلال دورها الفعال، كما أنه يشير إلى تلك العناصر التي تكون عملية الاتصال، وهو ما ذكرناه من عناصر سياق الموقف.

أما أدوار الخطاب فتتعلق بطبيعة المشاركين في الخطاب وحالاتهم، والعلاقات الدائمة والمؤقتة بينهم، وهي أيضا طبيعة العلاقات الاجتماعية المتصلة بالكلام، وتتجلى أدوار الخطاب في الأبعاد النفسية للمخاطب من حيث العلاقات بينهم كالمودة والسيطرة والقرب والصداقة، وكل هذه العلاقات تعكس على اللغة، فهناك لغة تعبر عن التعالي بين الحاكم والمحكوم والشيخ والتلميذ، وهناك لغة أخرى تعكس دراسة القرب بين الأصدقاء(2).

أهمية السياق:

لقد ذكرنا سابقا أن السياق هو حدث يتم داخل أو خارج نطاق اللغة، ولذلك فهو يخلق قيمة حضورية للمعنى ويوضحه ويحدده، فالكلمة لا معنى لها وهي خارج السياق ويكتسي السياق أهمية بالغة، ويؤدي دورا فعالا في تحديد المقصود من فهم اللغة والكلام أو النص أو الخطاب، وتظهر أهميته في جوانب عدة نذكر منها:

1- تحديد دلالة الكلمة:

من الصعب إعطاء تعريف جامع للكلمة، وذلك نتيجة تعدد مشاربها وهيئتها، فمن اللغويين من يقتصرون على الجانب الصوتي في تعريفها، ومنهم من يركز على أساس

1- ينظر: المرجع السابق، ص 622.

2- ينظر: حسام أحمد فرج، علم النص، ص 28.

استعمالها في سياق معين، ومن أهم المفاهيم التي سيقت لهذا المصطلح أن الكلمة: «أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط بأي وحدات أخرى»[1]. أو أنها أيضا: «جزء من الحديث الكلامي له صلة بالواقع الخارجي عن اللغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم، و يتغير موضعها بالنسبة لبقية الحدث الكلامي»[2].

أما علماء المعاجم فقد خالفوا اللغويين في ذلك وركزوا على أهميتها في العمل المعجمي، وانصرفوا إلى تحديد ماهيتها من الناحية العملية، وانطلقوا من مفهوم الكلمة كما يتصورها كل شخص قادر على التحكم في لغته، وقالوا «أن كل إنسان يعرف على الأقل من الناحية العملية ما هي الكلمة وما هي الجملة، حتى لو لم يكن في مقدوره وضع تعريف نظري وعلمي لها»[3].

فالشخص الذي لا يعرف مثلا شيئا عن علم اللغة ويتمتع بقدر معقول من التحكم في لغته، دون يفهم بلا شك معنى جملة مثل: من فضلك أعطي هذا الكتاب الضخم، سيفهم مثلا أن الموقف هنا يتصل على الأقل بشخصين، وبشيء محدود ورغبة في طلب هذا الشيء، لكي يوضع بين يدي الناطق بهذه الجملة، كما سيفهم أن هذا المتكلم على درجة من حسن الخلق والتهذيب، لأنه استعمل عبارة مثل "من فضلك" كما سيفهم كذلك أن كل جزء من هذه الجملة مركبة من أجزاء، فكلمة كتاب تدل على شيء أو نوع محدد من الأشياء، كذلك كلمة ضخم تستعمل في وصف شيء ما، أو أشياء محددة ينطبق عليها هذا الوصف، وهي في الجملة السابقة تصف نوعية الشيء المطلوب وهو الكتاب، كما تصف كلمة "أعطي" الحدث المطلوب [4].

1- حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط1، 1998، ص 17 .

2- المرجع نفسه، ص 17.

3- ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص 17.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

وهنا تظهر أهمية السياق في تحديد دلالة الكلمة سواء أكان لغويا، أم غير لغوي فهو يحدد دلالة الكلمة المستعملة في سياق الجملة، ويحدد العلاقة بين المتكلم والمخاطب، من حيث تلقي الرسالة وفهمها والملابسات المحيطة بها.

ودلالة الكلمة لا تأتي من معناها المعجمي فحسب بل تكسب ظلالا من المعنى يحددها السياق اللغوي الذي ترد فيه، محكوما بالسياق الحالي وما يدور في حيثياته.

وفي ذلك يقول فندريس: «الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات، إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا موقتا والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة يعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية»(1).

من خلال هذا القول يتبين لنا أن السياق يخرج الكلمة من عالمها الساكن إلى عالمها المتحرك من خلال تفاعلها مع الجمل السابقة واللاحقة.

2- تحديد دلالة الترادف والمشترك اللفظي:

يساهم السياق في التمييز والتحديد لدلالة الألفاظ المترادفة، والدليل على ذلك أن هذه القضية كانت محل دراسة عند علمائنا القدامى ونذكر على سبيل المثال سيبويه التي تعرض إلى هذه القضية في باب "هذا باب اللفظ للمعاني" فيقول: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو: جلس، ذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان وأشباه هذا كثير»،2 وكما يحدد السياق الملامح الدلالية الدقيقة للمرادفات، ويستدل على ذلك في الفرق بين كلمتي آتي وأعطى واختلاف سياقهما في بعض الآيات من القرآن الكريم.

1- فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي، منشورات الأنجلو مصرية، ط1، 2010، ص128.

2 سيبويه: الكتاب، ج1، ص 24.

«فالإنشاء والإعطاء في اللغة مترادفان، فقد صدرت المعاجم الأشياء بالإعطاء، وأما في الاستعمال القرآني للكلمتين فثمة فروق دقيقة بينهما تلمحها من المقارنات التالية:

* لم يستعمل الإيتاء إلا للشيءالكثير والعظيم الشأن كالملك والحكمة والرحمة والخير والقرآن العظيم، ومن ذلك نذكر سياقهما في هذه الآيات: قال الله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة/251]، وقوله تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[البقرة/269].

بينما قد يكون الإعطاء للشيء القليل نحو قوله تعالى: ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤﴾ [النجم/34].

ولم يرد العطاء دالا على الشيء الكثير إلا مقيدا بما يدل على الكثرة، كما في قوله الله عز وجل: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠﴾ [الإسراء/20]، فإضافة العطاء إلى الله ونفي الحظر عنه يقيد كثرة هذا العطاء، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضحى/05]، حيث أسند فعل الإعطاء إلى الله، كما وصف المعطى بالرضا بهذا العطاء»(1).

ونخلص مما سبق أن الكلمتين (آتى، أعطى) بينهما تقارب دلالي حيث يشتركان في معنى بذل الشيء، لكن كل منهما يختص بملامح دلالية تميزه.

فالإيتاء لا يكون إلا للشيء الكثير والعظيم، بينما قد يكون الإعطاء للشيء القليل أو الزهيد، إلا إذا قيد فيما يدل على الكثرة.

والإيتاء فيه قوة لأنه لا يتوقف على قبول، بينما الإعطاء تتوقف على القبول.

والإيتاء لا يكون إلا في رضا وطيب نفس، بينما قد يكون الإعطاء عن كره(2).

1- ينظر: محمد محمد داود: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة، ط1، 2008، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص 29.